

## التحرير والتنوير

والمراد بفرعون فرعون الذي أرسل إليه موسى عليه السلام وهو " منفتاح الثاني " . وإنما أسند الخطأ إليه لأن موسى أرسل إليه ليطلق بني إسرائيل من العبودية قال تعالى ( اذهب إلى فرعون إنه طغى ) فهو المؤاخذ بهذا العصيان وتبعه القبط امتثالا لأمره وكذبوا موسى وأعرضوا عن دعوته .

وشمل قوله ( ومن قبله ) أمما كثيرة منها قوم نوح وقوم إبراهيم .  
وقرأ الجمهور ( ومن قبله ) بفتح القاف وسكون الباء . وقرأ أبو عمرو والكسائي ويعقوب بكسر القاف وفتح الباء أي ومن كان من جهته أي قومه وأتباعه .

والمؤتفكات : قرى قوم لوط الثلاث وأريد بالمؤتفكات سكانها وهم قوم لوط خصوا بالذكر لشهرة جريمتهم ولكونهم كانوا مشهورين عند العرب إذ كانت قراهم في طريقهم إلى الشام قال تعالى ( وإنكم لتمررون عليهم مصبحين وبالليل أفلا تعقلون ) وقال ( ولقد أتوا على القرية التي أمطرت مطر السوء أفلم يكونوا يرنها ) .

ووصفت قرى قوم لوط ب ( المؤتفكات ) جمع مؤتفكة اسم فاعل أئتفك مطاوع أفكه إذا قلبه فهي المنقلبات أي قلبها قالب أي خسف بها قال تعالى ( فجعلنا عاليها سافلها ) .  
والخاطئة : أما مصدر بوزن فاعلة وهاء الواحدة فلما استعمل مصدرا قطع النظر عن المرة كما تقدم في قوله ( الحاقة ) وهو مصدر خطئ إذا أذنب . والذنب : الخطأ بكسر الخاء وأما اسم فاعل خطئ وتأنيثه بتأويل : الفعلة ذات الخطأ فهاؤه التأنيث .  
والتعريف في تعريف الجنس على كلا الوجهين فالمعنى : جاء كل منهم بالذنب المستحق للعقاب . وفرع عنهم تفصيل ذنبهم المعبر عنه بالخاطئة فقال ( فعصوا رسول ربهم ) وهذا التفريع للتفصيل نظير التفريع في قوله ( كذبت قبلهم قوم نوح فكذبوا عبدنا وقالوا وزجر ) في أنه تفريع بيان على المبين .

وضمير ( عصوا ) يجوز أن يرجع إلى ( فرعون ) باعتباره رأس قومه فالضمير عائد إليه وإلى قومه والقرينة ظاهرة على قراءة الجمهور وأما على قراءة أبي عمرو والكسائي فالأمر أظهر وعلى هذا الاعتبار في محل ضمير ( عصوا ) يكون المراد ب ( رسول ربهم ) موسى عليه السلام . وتعريفه بالإضافة لما في لفظ المضاف إليه من الإشارة إلى تخطئتهم في عبادة فرعون وجعلهم إياله إلها لهم .

وجوز أن يرجع ضمير ( عصوا ) إلى ( فرعون ومن قبله والمؤتفكات ) .  
و ( رسول ربهم ) هو الرسول المرسل إلى كل قوم هؤلاء .

فإفراد ( رسول ) مراد به التوزيع على الجماعات أي رسول الله ﷺ لكل جماعة منهم والقرينة ظاهرة وهو أجمل نظماً من أن يقال : فعصوا رسل ربهم لما في إفراد ( رسول ) من التفنن في صيغ الكلم من جمع وإفراد تفادياً مع تتابع ثلاثة جموع لأن صيغ الجمع لا تخلوا من ثقل لقله استعمالها وعكسه قوله في سورة الفرقان ( وقوم نوح لما كذبوا الرسل أغرقناهم ) وإنما كذبوا رسولا واحداً وقوله ( كذبت قوم نوح المرسلين ) وما بعده في سورة الشعراء وقد تقدم تأويل ذلك في موضعه .

مبلسون هم فإذا بغتة أخذناهم ) تعالى قوله عند تقدم وقد الإهلاك في مستعمل : والأخذ A E ( في سورة الأنعام وفي مواضع أخرى .

و ( أخذة ) : واحدة من الأخذ فيراد بها أخذ فرعون وقومه بالغرق كما قال تعالى ( فأخذناهم أخذ عزيز مقتدر ) وإذا أعيد ضمير الغائب إلى ( فرعون ومن قبله والمؤتفكات ) كان إفراد الآخذة كإفراد ( رسول ربهم ) أي أخذنا كل أمة منهم أخذة .  
والرابية : اسم فاعل من ربا يربو إذا زاد فلما صيغ منه وزن فاعلة قلبت الواو ياء لوقوعها متحركة أثر كسرة .

واستعير الربو هنا للشدة كما تستعار الكثرة للشدة في نحو قوله تعالى ( وادعوا ثبورا كثيرا ) .

والمراد بالآخذة الرابية : إهلاك الاستئصال أي ليس في إهلاكهم إبقاء قليل منهم .  
( إنا لما طغا الماء حملناكم في الجارية [ 11 ] لنجعلها لكم تذكرة وتعيها أذن واعية [ 12 ] ) إن قوله تعالى ( ومن قبله ) لما شمل قوم نوح وهم أول الأمم كذبوا الرسل حسن اقتضاب التذكير بأخذهم لما فيه من إدماج امتنان على جميع الناس الذين تناسلوا من الفئة الذين نجاهم الله ﷻ من الغرق ليتخلص من كونه عظة وعبرة إلى التذكير بأنه نعمة وهذا من قبيل الإدماج